رابطة العالم الإسلامي

المجمع الفقهي الإسلامي

الدورة الحادية والعشرون للمجمع الفقهي الإسلامي
المنعقدة في مكة المكرمة

زواج القصر

أ.د. إبراهيم بن مبارك آل الجوير
عضو مجلس الشورى
أستاذ علم الاجتماع - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص ورقة زواج القصر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد

- لقد تناول هذا الموضوع وأثير في عدد من وسائل الإعلام وخاض فيه الخائضون

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بوصل

- ويشوه المجتمع بإشاعات وحكايات وأحكام مسبقة تسيئ إلى سمعة المجتمع وتصوره بالمجتمع الشهواني غير المنضبط بأي ضوابط أو كان الموضوع ظاهرة منتشرة ومتنوعة.
- رد فعل أمريكي: أثارت قضية زواج القاصرات رد فعل قوي من جانب الإدارة الأمريكية إذ عبر البيت الأبيض على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية روبرت وود عن أن الولايات المتحدة تعتبر هذه القضية انتهاكا واضحا لحقوق الإنسان، وأضاف وود أن الولايات المتحدة عبرت عبر سفارتها في السعودية عن رفضها القاطع لهذا النوع من الزواج، مشيرا إلى أن هذه القضية لا تثير قلق الولايات المتحدة وحسب وإنما المجتمع الدولي ككل على حد تعبيره.
- الموضوع المثار يشير إلى تحول في المجتمع، هل يمكن أن يثار هذا الموضوع بمثل هذه الحدة لو كنا في زمان غير زماننا هذا إنه مؤشر لتحولات اجتماعية كبيرة في المجتمع.
- جدل اجتماعي: من جانب آخر أحدثت هذه القضية جدلا اجتماعيا واسعا في المملكة العربية السعودية من حيث العوامل المرتبطة بوجودها، ما مدى انتشارها، ما آثارها الاجتماعية، حيث يعتبرها بعضهم صفقات يتم فيها بيع القاصرات لبعض كبار السن من الميسورين ماديا تحت اسم الزواج، فيما يرى طرف آخر أن زواج الكبار بالصغيرات يقلل من نسبة عنوسة الفتيات،بل إن بعض الفتيات يرغبن بالزواج ممن يكبرهن في العمر كثيرا لأنهن ينظرن إلى الملاءة المادية والنضج
- المشكلة التي يعاني منها المجتمع والتي هي أولى أن نسلط عليها الأضواء ونعالجها والتي هي ظاهرة بالفعل هي تأخر سن الزواج ووصول الفتى والفتاة إلى سن متأخرة كان ينبغي أن يكونوا تزوجوا قبل ذلك بسنين لما في ذلك من جلب كثير من المصالح ودرء كثير من المفاسد.
- المسألة المهمة لا بد أن نحدد ما المقصود بالقاصرة؟ هل يقصد فيها ما دون البلوغ، أو ما بعد البلوغ ودون الثامنة عشرة.
- هل المشكلة في الزواج في حد ذاته أم وجود فارق في العمر كبيرا بين الزوج والزوجة، هل يعني لو تزوج رجل في الثمانين من عمره بفتاة بعد الثامنة عشر لا يعتبر مشكلة أم تبقى القضية قائمة، وماذا لو تزوج رجل في العشرين بعجوز في الثمانين هل ستثار القضية.

- بعض الدول التي تمنع الزواج قبل بلوغ الثامنة عشر لا تجد حرجا في الممارسات الجنسية خارج نطاق الزواج قبل هذه السن، بل وجد وبكثرة ما أطلق عليه الأم العزباء واعتبر ذلك شرعيا ولا غبار عليه.
- من أهم أهداف الزواج أن يحقق السكينة بكل أبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والاستقرار حيث قال المولى جل وعز في كتابه العزيز **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** (الروم:٢١) فقال تعالى لتسكنوا
- من أهم أسس نجاح الزواج بصفته مؤسسة وشركة للحياة ولتحقيق لتسكنوا أن تقوم على أساس المودة والرحمة فهما الجناحان اللذان تطير بهما الحياة الزوجية، ومن أسس المودة والرحمة التجانس، والتجانس الذي يتحدث عنه علم الاجتماع يعني التجانس الفكري والتجانس العمري والتجانس في الميول والتجانس الاجتماعي والتجانس الاقتصادي والتجانس التعليمي، وتؤكد الدراسات أن التجانس العمري بين الزوجين من الأهمية بمكان لحصول المودة والرحمة.
- أن من الأسس الضرورية لنجاح الزواج النضج عند الفتى وعند الفتاة وأنا عندما أركز على الفتى أي على الزوج رغم أن الموضوع عن زواج القاصرات فإنني أؤكد أن هذه الشركة لها رئيس تنفيذي، إن هذا المركب له ربان وهو الزوج ومسؤوليته كبيرة سواء في نجاح أو فشل هذه الشركة وذلك الذي يقدم على الزواج ينبغي أن يكون ناضجا ليس فقط من حيث عمره ولكن من حيث خلقه وقدرته على تحمل المسؤولية وكما يقول الحبيب ﷺ «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» وكذلك نضج الفتاة العقلي والعاطفي والمهني.
- العمر المناسب للزواج يختلف من زمن لآخر حسب مجموعة عوامل فما كان مناسبا قبل سنوات ليس بالضرورة أن يكون مناسبا في هذا الوقت فالفتاة التي تنهي المرحلة الثانوية أي تجاوزت الثامنة عشرة تعتبر في العرف المعاصر صغيرة يستغرب أن يتقدم لها أحد في حين أن عددا من الأخوة والأخوات الذين تجاوزا الثلاثين عاما في زواجهم قد تزوجوا حول ذلك العمر أو قبله.
- أمتع مرحلة تعيشها الفتاة هي مرحلة أن تكون بنتا في بيت والديها تكبر معهم وتتربى تحت أعينهم وتعيش الطفولة والمراهقة في زمانها ومرحلتها الطبيعية وتنضج نضجا طبيعيا تدريجيا، وزواج الصغيرة يحرمها من أجمل مراحل الحياة ويحرمها أن تعيش كل مرحلة وتنضج نضجا طبيعياً.
- قد تشعر الفتاة التي زوجت صغيرة بأنها منبوذة حيث تشعر أن أسرتها دفعتها دفعا لزواج لم تكن مؤهلة له وأنها كانت عبئا على أسرتها، وبخاصة إذا زوجت من قبل كبير في السن فتشعر أنها مجرد سلعة تم بيعها والاستفادة من مبلغ مادي كبير دفع ثمنا لهذا المبادلة.

- قد يكون زواجها المبكر جدا مرتبطا بحرمانها من مواصلة التعليم، وهذا يجعلها تشعر بالحرمان من حق طبيعي لها ثم ما أثر ذلك على حياتها وعلى مستقبل أولادها وكيف تتعايش معهم. لا تقل إن كثيراً من أمهاتنا أميات لم يتعلمن وها أنتم تحملون أعلى الشهادات ألم أقل من قبل لكل زمان أنماطه وطرقه وتصوراته.
- الطلاق المرتبط بزواج القصر حيث تراكم المشكلات،أدى إلى زيادة نسبة الطلاق وما ينتج عن الطلاق، ومن ثم ما الذي ينجم عن الطلاق بعد ذلك، وبخاصة إذا تزوجت تلك القاصر رجلاً كبيراً.
- هناك من الرجال من يتباهى ويفتخر بممارسات وزواجات ويصوغون القصائد والكلمات، وكأن المرأة بضاعة وممتلكات
- لابد من وقفة مجتمعية ضد هذه الممارسات لأن النظر إلى هذه الممارسة لا يمكن إيقافها إلا بوقفة مجتمعية صارمة مع وجود تنظيم قوي وتطبيق عادل، وتوعية شاملة.

أ.د.إبراهيم بن مبارك آلجوير

زواج القصر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد

أتحدث عن الموضوع من الناحية الاجتماعية من النقاط الآتية :

- لقد أثير هذا الموضوع في عدد من وسائل الإعلام وخاض فيه الخائضون

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بوصل

- ويشوه المجتمع بإشاعات وحكايات وأحكام مسبقة تسئ إلى سمعة المجتمع وتصوره بالمجتمع الشهواني غير المنضبط بأي ضوابط أو كان الموضوع ظاهرة منتشرة ومتنوعة.
- رد فعل أمريكي: أثارت قضية زواج القاصرات رد فعل قوي من جانب الإدارة الأمريكية إذ عبر البيت الأبيض على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية روبرت وود عن أن الولايات المتحدة تعتبر هذه القضية انتهاكا واضحا لحقوق الإنسان، وأضاف وود أن الولايات المتحدة عبرت عبر سفارتها في السعودية عن رفضها القاطع لهذا النوع من الزواج، مشيرا إلى أن هذه القضية لا تثير قلق الولايات المتحدة فحسب وإنما المجتمع الدولي ككل حسب تعبيره.

- وبعد ذلك توالت ردود الفعل من الداخل والخارج.
- فحذر الخبراء حسب وكالة موسكو للأخبار من أن زواج الأطفال هو التحدي الأكبر للتنمية في عالم الفتيات في المستقبل القريب. ومن المتوقع أن يتضاعف عدد الفتيات المتزوجات قبل سن ١٥ خلال السنوات العشر المقبلة.
- وحذر صندوق الأمم المتحدة للسكان من أن يصل عدد المتزوجات قبل بلوغهن الخامسة عشر من العمر لـ ٥ ملايين زوجة بحلول عام ٢٠٢٠ وهذا العدد سيصبح ١٠٠ مليون بحلول عام ٢٠٣٠، إذا استمر الوضع على حاله.

يذكر أنه وفي بلدان العالم النامية تتزوج نحو ثلث الفتيات قبل ١٨ عاما، وفقا لليونيسيف. وبالرغم من رفض أغلب التشريعات في العالم لزواج القاصرات، إلا أن الظاهرة تتضح في أرقام لا مهرب منها، وعبر باباتوندي اوسوتوميهين المدير التنفيذي لصندوق السكان لصحيفة «اندبندنت» عن صدمته بحجم المشكلة ويقول : «يتم تزويج الأطفال الذين لا يفهمون معنى الزواج والمعنى الحقيقي لأن يكون الشخص بالغا. وتسرق طفولة الفتيات ليتحولن لأطفال أنجبن أطفالا قبل الاستعداد لهذه المهمة، ونحن نرى الفقر منتشرا بين أجيال بأكملها، ونحن بحاجة لوقف هذه الحلقة المفرغة».

وعلى سبيل المثال، تنص مادة من قانون الطفل في مصر على أنه «لا يجوز توثيق عقد زواج لمن لم يبلغ من الجنسين ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة، ويشترط للتوثيق أن يتم الفحص الطبي للراغبين في الزواج للتحقق من خلوهما من الأمراض التي تؤثر على حياة أو صحة كل منهما أو على صحة نسلهما، ويعاقب تأديبيًا كل من وثق زواجًا بالمخالفة لأحكام هذه المادة»، ولكن هذه المادة لا تردع أهلا يخططون لأسرع خلاص من طفلتهم في ظل الفقر المبرر لفعلتهم.

وبينت تقارير رسمية يمنية أن ٨ حالات وفاة تحدث يومياً في اليمن بسبب زواج الصغيرات والحمل المبكر والولادة، في ظل غياب المتطلبات الصحية اللازمة. فدخول عوالم الحياة الجنسية باكرا واحتمال الحمل في جسد لم يكتمل نموه بعد يهدد الطفلة الأم وجنينها بالإجهاض المتكرر والولادة المبكرة فالرحم مثلاً لا يصل إلى حجمه المؤهل للوظيفة قبل سن الثامنة عشرة، واستجابته للتغيرات الهرمونية المؤثرة بشكلها الصحيح، لا تمثل شهادة صحية لقيامه بوظيفته الحياتية. كما يصعب على الجسد الغض التعامل مع أكثر الأمراض شيوعا بين الحوامل كفقر الدم وارتفاع ضغط الدم المصاحب للحمل.

وينوه أخصائيو أمراض النساء بعيدا عن مخاطر الحمل وتداعياته لازدياد نسبة الإصابة بسرطان عنق الرحم عند الزوجات القاصرات بسبب التواجد الطبيعي لنسبة عالية من الخلايا غير المحددة السلوك في مراحل

المراهقة المبكرة، والتي قد تتمرد على الانضباط الهرموني الطبيعي، حيث إنه من الثابت علمياً الارتباط الطردي في فرصة تطور سرطان عنق الرحم مع سن الزواج المبكر قبل إكمال الثامنة عشرة من العمر.

- وهناك رد فعل على مستوى الإعلام من زواج القاصرات، ولكن معظم من أخذ رأيهم من المعارضين لهذا النوع من الزواج كما طرح في إحدى الصحف السعودية.

زهرة تذبل:

«أم العنود».. أم لطفلة لم تتجاوز ١٢ عاماً، حكت مأساتها مع زوج لم يعرف معنى الطفولة، ولم تشفع له نظرات ابنته التي كانت ترجوه بكل معاني الرحمة في عدم تزويجها، أو عدم السماح لرجل باغتصابها، على حد قولها.

وقالت: زوجي أصر على زواج ابنتي وهي زهرة في سن ١١ عاماً لشيخ كبير، وعندما رفضت لصغر سن البنت ضربني ونهرني، وقال: ليس لك الحق في الرفض أو القبول، ولم أستطع فعل شيء سوى الصمت الذي بات رفيقي منذ زواجها، أقصد اغتصابها، وحتى اليوم، وأنا أراها كالزهرة تذبل يوماً عن يوم، وليس بيدي إلا أن أقول «حسبي الله ونعم الوكيل».

- زواج ديون:

أما «أم فراس»، فقالت لنا: إنها الآن ترعى ابنتها الطفلة وترعى حفيدها أيضاً، حيث تزوجت ابنتها في سن ١٤ عاماً، وحملت بعد زواجها وهي لا تعرف شيئاً عن الزواج ولا تدري معنى المعاشرة الزوجية، ووافق أبو أولادي على زواجها لسداد ديون عليه، ثم سكتت فترة، وقالت: لا أعرف ماذا أقول؟ ابنتي تزوجت غصباً وزوجها يعاشرها غصباً، وبعد أن حملت حملها الأول الذي عانت فيه معاناة كبيرة، أصبحت أنا أماً بديلة له، هو طفل لا حول له ولا قوة، ولا أدري ماذا أفعل لابنتي التي رفض والدها وبكل شدة طلاقها، وابنتي تحلف لي يوماً بعد يوم أنها لم ولن تطيقه، إنها تدعو علينا كل يوم لما اقترفناه في حقها، ولا أدري ماذا أفعل لها حتى أساعدها، ولكن أملي في إصدار قانون يجرم تزويج القاصر حتى أحمي باقي بناتي.

ابنتي تنهار:

بكل مرارة تحدثت «أم بنان» قائلة: ابنتي ١٢ عاماً في عمر الزهور، متفوقة في التعليم وطموحها عال، ابتلانا الله بزوج مستهتر لا يكترث بنا، فُصل من عمله أكثر من مرة ودائماً نعيش على فتات الآخرين، وقد بلغت قسوته أن أجبر بناته على ترك المدرسة والجلوس في المنزل منعزلات عن العالم.

وتوقفت عن الحديث وانهارت باكية ثم قالت: تراكمت الديون على زوجي ولم يستطع سدادها، وأصبح هارباً ممن يطالبونه بتسديد ديونه.

وتابعت حديثها: في لحظة استبد الشيطان بزوجي وقرر تزويج ابنتنا ذات الـ١٢ عاماً من رجل في الخمسين من عمره، حتى يسدد ديونه، عجزت عن إقناعه بالرجوع عن فكرته، وشعرت أني مكتوفة اليدين وأنا

أرى ابنتي تذبل وتنهار أمام عيني، فهي حالياً تعالج في أحد المستشفيات لرفضها تناول الطعام، وأنا أدعو الله أن يشفيها ويحفظها لي حتى تتمتع بطفولتها.

طفلة مُطلقة:

وعبّرت «أم نوف» عن مأساتها قائلة: أعيش مأساة حقيقية مع زوجي، فهو مستبد برأيه متمسك ببعض العادات العتيقة، ومن آرائه تزويج البنات في سن صغيرة، واتخذ قراره منفرداً بتزويجها في عمر ١٤ عاماً.

لم أجد إلا البكاء ولم تُجد وسائلي معه، فأنا لا أملك إرادة لاتخاذ أي قرار، وللأسف تزوجت ابنتي وواجهت مشكلات مع زوجها، فهي غير مدركة للمعنى الحقيقي للزواج ولم يحتملها زوجها، وللأسف عادت ابنتي «طفلة مطلقة» فقدت براءة الطفولة وفقدت مستقبلها التعليمي، ويعلم الله كيف ستواجه مستقبلها، وأنا حائرة لا أدرى ماذا أقدم لها كي تسترد إنسانيتها مرة أخرى.

حقوق الطفل:

من جهته، كشف عضو الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان معتوق الشريف، عن نجاح الجمعية في إيقاف بعض زيجات صغار السن، وأشار إلى تصديق المملكة على اتفاقية حقوق الطفل الصادرة من الأمم المتحدة، التي حددت الحد الأدنى للطفولة بـ ١٨ عاماً، معللاً ذلك باختلاف مرحلة البلوغ من بيئة إلى أخرى.

وحذّر الشريف من إدراج زواج القاصرات تحت بند الاتجار بالبشر، وضرب مثلاً بتزويج الطفلة من شيخ كبير تسديداً لديون الأب، وأوضح أنه في هذه الحالة يعاقب الأب بالسجن ١٥ عاماً، وغرامة مليون ريال، مشيراً في هذا السياق إلى التعاون بين وزارة الصحة وحقوق الإنسان لإثبات الأضرار الصحية والنفسية لزواج الفتاة دون سن ١٨ عاماً سواء كان الزوج في مثل عمرها أو شيخاً كبيراً.

ولفت إلى حدوث تعارض أحياناً بين الآراء الفقهية والاجتماعية في تفهّم هذه القضية، وكشف عن إتمام بعض الزيجات في الخفاء وعدم الإعلان عنها، منوهاً بدعم شيوخ القبائل وأمراء المناطق لجهود الجمعية في التصدي لهذه القضية، فضلاً عن دور المتطوعين في إبلاغ الجمعية بهذه الزيجات.

وأعرب الشريف عن أمله في إقرار مجلس الشورى لنظام حماية المرأة والطفل، ولفت إلى عدم صدور قرار بتحديد سن الزواج، مطالباً وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بإلزام المأذونين بتوظيف سيدات ذوات خبرة اجتماعية ونفسية حتى يتسنى لهن التأكد من سن الفتاة كي لا تحدث تجاوزات غير مقبولة، مثل إجبارها على الزواج، أو متاجرة ولي الأمر بها.

سجن مشدد وغرامات كبيرة:

وأوضح المستشار القانوني وعضو برنامج الأمان الأسري الوطني أحمد المحيميد، أن قضايا القاصرات تدخل ضمن قضايا الأحوال الشخصية

في الإسلام، وهي من اختصاص محاكم الأحوال الشخصية أو المحاكم العامة ما لم يكن فيها شق جنائي، فإنها تحال للمحاكم الجزائية، وأشار إلى هذه القضايا، مثل الزواج بالإكراه، والحرمان من الحقوق المدنية كالحرمان من التعليم، والحرمان من الحقوق الشرعية من النفقة، وغيرها من القضايا.

وكشف المحيميد عن صدور نظام مكافحة الاتجار بالبشر في المملكة، موضحاً أن العقوبات المشددة تصل إلى الغرامة مليون ريال والسجن لمدة تصل إلى عشر سنوات لكل من يسيء أو يستغل أو يُكره أو يصادر حقاً من حقوق الطفل، بيد أن المشكلة تكمن في عدم وصول القضايا لأروقة المحاكم، نظراً لتكتم الأسر وتحايلهم على الأنظمة والقوانين، فضلاً عن محاولتهم إخفاء المعلومات، وعجز القاصر عن الإبلاغ تبعاً للعادات والتقاليد.

وأعرب عن أسفه لتستر الأسر على هذه القضايا وطمس معالمها عن الجهات المختصة، موضحاً أنه يتم الإبلاغ عند حدوث أضرار جسدية بليغة، أو تغطية إعلامية، أو وصول الضحية لإحدى الجهات المدنية المعنية، مثل المستشفيات والمدارس والجامعات.

ولفت إلى أنه دائماً ما تنتهي مثل هذه التجاوزات بالتستر على الأسرة ولم شملها، وإنهاء الموضوع داخلياً، منوهاً أن الأنظمة تمنع التستر على مثل هذه الجرائم، بل تعاقب كل من يتستر عليها بعقوبات تعزيرية مشددة، وتضمن للمُبلغ السرية التامة والأمن من العقوبات أو المسؤولية، وتتعامل مع البلاغات بشفافية وسرية تامة.

قانون للأحوال الشخصية:

وعن جهود برنامج الأمان الأسري في التصدي لهذه القضية، قال المحيميد: إن جهود برنامج الأمان الأسري تتمثل في رفع ثقافة الحقوق لدى العامة ونشر الثقافة القانونية عبر إقامة الدورات التدريبية للأخصائيين والأخصائيات، وللقضاة ولرجال الضبط الجنائي وللأطباء وللمعلمين والمعلمات، مؤكداً على ضرورة التواصل مع الجهات المختصة، وتحويل البلاغات والحالات إليها، كل في مجال اختصاصه، موضحاً أن البرنامج يقدم دورات تأهيلية للأسر وللأفراد للتعامل مع حالات العنف.

ورأى المستشار القانوني أن توعية المجتمع بخطورة هذه القضية، لا يقتصر فقط على إقامة الندوات والدورات التدريبية والإعلام، مناشداً وزارة العدل بتبني فكرة إصدار قانون للأحوال الشخصية والمدنية، مستمد من الشريعة الإسلامية، ونشره وتعميده لكافة الجهات للعمل به وتطبيقه.

حالات انتحار:

فيما رأى الأخصائي النفسي عبد الرحمن الصبيحي أن زواج القاصرات يرتب جملة من المشكلات النفسية والصحية، التي تظهر بعد إتمام الزواج بفترة بسيطة، وفي بعض الحالات وصلت إلى انتحار الفتاة لعدم قدرتها على مواجهة الموقف، مشيراً إلى أن التركيز على زواج

القاصرات يحرم شريحة كبيرة من الفتيات المؤهلات للزواج من عدم الحصول على حظهن في الزواج.

وأكد أن هذا الزواج يمتد أثره السلبي على الأطفال الذين يتم إنجابهم، حيث لا يجدون الرعاية المثلى، ويشعرون بالحرمان لعدم قدرة الأم القاصر على القيام بدورها كأم ناضجة، وهناك بعض الدراسات أشارت إلى وجود تأخر في النمو الجسمي والفعلي، وزيادة الإصابة بالشلل الدماغي والإصابة بالعمى والإعاقات الجسمية لدى الأطفال الذين يولدون من أم قاصر، ما يمثل عبئاً على اقتصاد الوطن.

أمراض نفسية

وأفاد الصبيحي أنه عادة ما يصاحب زواج القاصر عدد من الآثار النفسية السلبية، من أهمها الشعور بالقلق الدائم لجهلها بفكرة الزواج كمشروع اجتماعي، إضافة إلى الخوف مما سيحصل أثناء الجماع الأول، كما أن الفتاة في هذا العمر وهي ما زالت تحتاج إلى الرعاية والحب والعطف والحنان سينتابها الشعور بالغربة التي ستنطوي على الإصابة بالاكتئاب.

وفي جانب آخر فإن بعض الفتيات القصر أظهرن نوعاً من العنف والتحدي جراء عدم الشعور بالأمان، ما يترتب عليه عنف مضاد من الزوج أدى إلى إيقاع الإيذاء والإساءة والإهمال على الفتاة، ما أدخلها في دائرة المرض النفسي جراء الضغط النفسي المستمر.

وأشار الصبيحي إلى أنه لا توجد جهة حكومية بعينها تتولى قضية زواج القاصرات، حيث إنها قضية تتناول عدداً من الجوانب التي تستدعي تدخل عدد من الجهات لمتابعتها ومعالجتها، بيد أن القضية تحتاج إلى قرار لعدم تدوين عقد زواج ممن هم تحت سن الثامنة عشر، وهذا الأمر في يد وزير العدل.

مصادرة حق الاختيار:

ورأى المحامي عدنان الزهراني، أن تزويج القاصر يعد مصادرة لحقها في الاختيار، لأن حالة القصور لا تملك الأهلية التي تساعدها على الاختيار، بل الخيار لوليها فقط.

وقال: لو لم يكن من أسباب منع تزويج القاصر إلا هذا لكفى، مشيراً إلى حديث دار مع أحد أعضاء مجلس النواب اليمني عن هذه المسألة أثناء دراستهم لهذا المشروع، وسؤاله عن مدى مشروعية تقييد سن الزواج، وأجاب قائلاً: الشريعة لم تأمر ولم تنهَ، وهو على أصل الإباحة، ومتى ظهرت المصلحة في التقييد جاز للمجلس سن تشريع يحدد سن الزواج.

وأبدى عضو مجلس النواب ارتياحه لهذا الاعتبار، وصدرت موافقة البرلمان اليمني على القانون في ٢٠٠٩م، وهي خطوة موفقة واعتبار للمصلحة التي سبقت الإشارة إليها.

لا لزواج القاصرات:

وحول دور الإعلام في توعية المجتمع، تحدثت لـ«سبق» الإعلامية منى سراج قائلة: عملنا من خلال مبادرة «سيدتي: لا لزواج القاصرات» ودعوتها للوقوف ضد زواج القاصرات، على تقصي الحقائق لمعرفة أسباب المشكلة وانتشارها في بعض القرى والمدن، مشيرة إلى دور الحملة في وقف بعض الزيجات وإعطاء البدائل لها.

وأوضحت سراج أن إصرار فريق العمل على التحرك في كل اتجاه، والتعامل بمصداقية أكثر مع الناس والمجتمع، ساهما في نشر الوعي على نطاق أشمل وأكثر قوة.

وأكدت الحرص على استمرارية التواصل مع الجهات المعنية، منوهة بتجاوب مجلس الشورى والعديد من المستشفيات الحكومية والأهلية ومعظم الجمعيات الخيرية المعنية بحقوق المرأة، ومساعدتها لتخطي معوقات العيش الكريم.

وأشادت بمساهمة أطياف المجتمع في حملة «لا لزواج القاصرات» من الكتاب والأدباء والمثقفين والإعلاميين، مؤكدة دور علماء الدين المتمثل في خطباء المساجد، والمأذونين الشرعيين في تعاونهم لإنجاح هذه الحملة، واصفة دور الإعلام المهني الحر بالطبيب الذي يشخص المرض ويعالجه قبل أن يتفشى وتتآكل معه قيم المجتمع.

دراسة أمام «العدل»:

وأفصحت الناشطة الحقوقية سهيلة زين العابدين، أنها قدمت دراسة لوزارة العدل لتحديد سن زواج الفتاة بـ ١٨ عاماً، **معتبرة** أنه هو سن الرشد، وسن اكتمال جسد الفتاة بيولوجياً بحيث تصبح قادرة على المعاشرة الزوجية وإنجاب الأطفال.

وأشارت إلى أن هناك العديد من السلبيات تنتج من زواج القاصرات، منها تعريض الفتاة للوفاة أو ولادة معوقين، وعدم إدراكها للعلاقة الزوجية وقد تتعرض لمشكلات صحية، وذكرت مثالاً لفتاة تزوجت في عمر ١٢ عاماً وأصيبت بنزيف شديد توفيت على أثره.

ونوهت زين العابدين إلى إحصائيات الأمم المتحدة التي جاء فيها أن أكثر حالات وفيات الولادة من أمهات صغيرات في السن، بالإضافة إلى أن نسبة كبيرة من الأطفال يولدون معوقين، مشيرة إلى أحاديث زواج السيدة عائشة وهي في عمر ٧ سنوات، وقالت: جميع هذه الأحاديث مرسلة لم تروها السيدة عائشة - رضي الله عنها -، بل إن هناك قرائن كثيرة تؤكد أن عمر السيدة عائشة عند زواجها كان ١٩ عاماً.

وانتقدت أولئك المتشدقين بالدين الذين يخضعونه لأعراف ومعتقدات سبائدة في ثقافتهم، مستشهدة بالآية الكريمة: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** (الروم: ٢١)، أين السكينة مع فتاة صغيرة غير مدركة لمعنى الزواج؟ وأين التوافق؟!

وأبدت دهشتها من زواج بنت ٩ سنوات وهي لا تستطيع التصرف في مالها ولا بد من وجود وصي عليها، فكيف تتصرف في نفسها وتتزوج،

وقالت: لا نريد أيتاماً، ولا نريد أرامل ومطلقات أطفال، وناشدت وزير العدل بتحديد سن الزواج عند ١٨ عاماً حتى تستطيع الفتاة القبول أو الرفض.

سياسة شرعية:

وفي هذا السياق أكد محمد النجيمي أنه يؤيد صدور تنظيم من وزارة العدل يمنع زواج القاصرات، واعتبره من باب السياسة الشرعية، وهو أن يسن ولي الأمر الأنظمة بحيث لا تتعارض مع الكتاب والسنة، مستشهداً بقولة تعالى: **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**، وأهل الذكر في هذه القضية هم الأطباء، وقد أثبتت التقارير الطبية والممارسات الاجتماعية أن القاصر لا تصلح للحمل والولادة وممارسة الحياة الزوجية. معرباً عن أمله في أن يبادر وزير العدل في هذه القضية لما فيها من فائدة قصوى تعود على المجتمع.

- المحامي سلطان بن زاحم، المكلف من هيئة حقوق الإنسان (حكومية) بمراجعة قضية عنيزة قال لـ«الشرفة» إن والدة «طفلة عنيزة» تنازلت عن الاستمرار في دعواها المقامة لفسخ عقد نكاح ابنتها». وكان سبب تنازل الأم كما قال زاحم «مساومة طليقها (والد الطفلة) بأن تسحب دعوتها مقابل إلغاء كل القضايا المقامة ضدها من قبله».

وبهذا يكون دور الهيئة هو «التأكد من الإرادة التي بُني عليها عقد النكاح في الأساس، مؤكدة في ذلك على عدم تكرار مثل هذه الزيجات التي قد تكون تحت ضغوط مالية أو انتقام بين الزوجين» بحسب قول زاحم، الذي أضاف أنه «بناءً عليه يكون عقد زواج فتاة عنيزة من الرجل الثمانيني صحيح، ولا يمكن بطلانه».

ويرى بن زاحم أن البنت القاصر «ليس لها إرادة مُكتملة، ويكون الرضا عن الزواج بيد وليها (الأب)، ويجب أن تكون موافقته مرتبطة بالمصلحة التامة التي تعود على البنت، وليس عكسها، كما حدث مع هذه الطفلة، ومن الواضح أن المساومات المالية لعبت دوراً كبيراً في إكمال الزواج، لناحية إسقاط دين عن ولي الأمر (والد الطفلة)، أو حالة انتقام من الزوجة الأولى (أم الفتاة)، بتزويج ابنتها، والتخلص منها بهذا الشكل».

- من جهتها، اعتبرت عضو الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في السعودية (أهلية) الدكتورة سهيلة زين العابدين، لـ«الشرفة»، «أن هذا النوع من الزيجات يتعارض مع الاتفاقيات الدولية التي وقعت عليها السعودية. لكن عدم وجود قوانين مكتوبة يقف عقبة أمام تطبيق مثل هذه القوانين الأسرية، التي تصب في صالح الطفولة ورعايتها».

- وفي هذا السياق، ترى زين العابدين ضرورة «إعادة النظر في ولاية الأب على حضانة الأطفال بعد عمر ٩ سنوات، بعدما تبين أن جميع زيجات القاصرات تمت من قبل الأب، فيما تم تغييب دور الأم».

- واعتبر عضو الجمعية جعفر الشايب، زواج الفتيات القاصرات «نوعاً من التجارة». وأكد لـ«الشرفة» أن مثل هذا النوع من الزواج يعتبر «انتهاكاً لحقوق الإنسان. ويتمثل دورنا في الجمعية، بالتوعية

الاجتماعية، والسعي لاستصدار قانون يعاقب جميع الأطراف التي شاركت في هذه الجريمة».

ثانياً: أسس الاختيار للزواج

الزواج قبل الإسلام[1]:

لقد كان الزواج قبل الإسلام - وعلى مر العصور واختلاف الحضارات - يأخذ صوراً متعددة وشاذة، يتبين من خلالها ما كانت تعيش فيه المرأة من احتقار لها وهضم حقوقها مما يبرز الحقوق والمكتسبات التي منحها الإسلام للمرأة، فكان الزواج لدى بعض الأمم قبل الإسلام كما يأتي:

١- عند اليونان:

كان واجباً تحتمه الديانة وتفرضه الوطنية، فعبادة الأسلاف كانت تقتضي اتصال الأجيال دون انقطاع، لكي تستطيع الأجيال اللاحقة القيام بالمراسم الجنائزية وتقديم القرابين لأرواح الأجيال السالفة.

ولم يتخذ الزواج عندهم شكلاً واحداً في مختلف مراحل تاريخهم، بل اختلف، ففي العصر القديم كان يتم عادة عن طريق الشراء، والثمن يتكون من عدد من الأبقار أو الثيران تختلف كثرة وقلة بحسب جمال الفتاة وقبحها.

٢- عند الرومان:

أخذ الزواج عندهم صورتين:

١- الزواج بالسيادة وله عدة أشكال:

(أ) الزواج الديني: وكان حكراً على طبقة الأشراف، وكانت تتم بين أروقة المعابد بترتيل عبارات دينية مألوفة وتقديم القرابين إلى كبير الآلهة.

(ب) الزواج بالشراء: وهو الزواج المدني الذي شاع بين رجال العامة، وكان يتم بموجبه شراء الزوجة واستعمال طرق الشراء الشكلية، وأهمها الإشهاد.

(ج) الزواج بطريق الاستعمال: وذلك بوضع اليد على الزوجة مدة من الزمن، هي المطلوبة لاكتساب الملكية على المال.

٢- **الزواج بلا سيادة:** وقد ظهر إثر تطور المجتمع الروماني ومحاولة التخفيف من السلطة الأبوية داخل الرومانية، فهو زواج كما يدل من اسمه يتم دون أن تخضع الزوجة لسلطة زوجها أو تصل بأسرته.

٣- عند اليهود:

لقد جاءت الشريعة اليهودية داعية إلى الزواج محببة إليه، وقد ورد في أسفار التوراة حديث عن نشأة الزواج حيث جاء فيه عند الكلام عن بداية خلق العالم:

---

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الجريوي. الإسلام ودعوى التجديد في مجال الأسرة. رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٠٩هـ، ص٣٢٠-٣٢٤.

«وقال الرب الإله ليس جديداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً». [من سفر التكوين الإصحاح الثاني فقرات: ١٨، ٣١-٣٤].

والمرأة في اليهودية تكاد تكون مسلوبة الإرادة تماماً فهي لابد أن تتزوج الرجل الذي يتقدم إليها، وهي تنتقل من يد هذا الرجل إلى يد أخيه إذا مات ولم يكن له ولد: «إذا سكن أخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، أخو الزوج يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة، يقوم بها بواجب أخ الزوج، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل، و إن لم يرض الرجل أن يتخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول: قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل، لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخ الزوج، فيدعوه شيوخ المدينة يتكلمون معه فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه فيدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل».

[سفر التثنية.. الإصحاح الخامس والعشرون، الفقرات: ٥-١٠].

٤- عند المسيحيين:

لقد جاءت المسيحية امتداداً للديانة اليهودية ومكملة لها، وكان المسيحيون الأوائل الفاهمون لشريعة الله معترفين بالزواج ومكانته، فقد جاء في أقوالهم: «كذلك أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلون على الله يزين أنفسهم خاضعات لرجالهن، كما كانت سارة تطيع إبراهيم إياه سيدها».

[رسالة بطرس الأولى الإصحاح الثالث، الفقرات: ١، ٥-٦]

ولكن على الرغم من مشروعية الزواج في الدين المسيحي، فقد عرف نظام الرهبانية والدعوة إلى التبتل في المجتمع المسيحي، وعلى هذا فإن نظرة المسيحية إلى الزواج تنقسم إلى قسمين :

١- أن الزواج أمر ينبغي تحصيله وطلبه بالنسبة لمن تغلب عليه الشهوة ويقع في مخالفة الشريعة بسبب احتراق الشهوة.

٢- أن الزواج ينبغي تركه بالنظر إلى من يمكنه أن يتغلب على الشهوة ويصبر عليها.

٥- عند العرب قبل الإسلام:

لقد اتخذ أشكالاً وصوراً عدة منها ما رواه عروة بن الزبير - ﷺ -: أن عائشة - رضي الله عنها - أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء :

(أ) فنكاح منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها
(ب) ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها رجلها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.
(ج) ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطيع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.
(د) ونكاح رابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لها القافه (وهو الذي يعرف الأثر)، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم. صحيح البخاري ٥/١٩٧٠-١٩٧١م.
(هـ) نكاح المتعة: وهو تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة. فتح الباري.
(و) نكاح الضينون أو المقت: وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها (تفسير القرطبي). وقد ذم الله هذا النوع من النكاح بقول الله تعالى: **(وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)** (النساء: ٣٣).
(ز) نكاح الشغار: وهو أن يزوج الرحل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته وليس بينهما صداق. فتح الباري ٩/١٦٧.
(ح) نكاح البدل: وهو أن يقول الرجل للرجل : تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، وأزيدك. سنن الدارقطني ٣/٢١٨.
(ط) نكاح الخدن: وهو نكاح السر الذي يحاول فيه الطرفان أن لا يعرفهما أحد، ولعل من عده من نكاح الجاهلية أخذه من قوله تعالى: **(وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)** (النساء: ٢٥) وقوله: **(وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ)** (المائدة: ٥) والخدن هو الصديق.
(ي) نكاح السبي: وهو أن يستولي رجل بالقوة على امرأة بأي طريقة سواء أكان في حرب نظامية أو عن طريق المباغتة.
أما تعدد الزوجات فلم يكن مقيداً بعد محدد...

الزواج رؤية إسلامية[1]:

عرضنا فيما سبق طرق الزواج في أمم خالية، وكيف كانت نظرتهم للمرأة، وأسس اختيارهم للزواج بدءاً من اليونان والرومان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، مروراً بأهل الجاهلية من العربي.. وإذا كنا نعرض للرؤية الإسلامية في هذا الموضع فذلك في تقديري لما أصاب المجتمعات الحديثة من آفات الماضي ونكسات الجاهلية في الفكر والاختيار.. بعد أن جاء النور ساطعاً، كاشفاً غياهب الظلمات في الفكر والاعتقاد والسلوك الذي انتاب تلك الأفكار والنظريات، ذلك النور الساطع هو نور الحق وشمس اليقين التي جاء بها الإسلام.

الـزواج :

تعريفه: يطلق لفظ الزواج في اللغة ويراد به عدة معان:

١- الاقتران : «أي اقتران الشيء بالشيء وارتباطه به» [تاج العروس] القاموس المحيط. «فكل شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان» لسان العرب. ومنه قوله تعالى: **(كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)** (الدخان: ٥٤) وكذلك قوله سبحانه: **(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)** (التكوير: ٧).

٢- التماثل والتناظر: يقال عندي من هذا أزواج : أي أمثال، وكذلك زوجان من الخفاف أي كل واحد منهما نظير صاحبه، وقيل للرجل والمرأة زوجان لأنهما قد تناسبا بعقد النكاح. وفي هذا المعنى يقول المولى تعالى: **(احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ)** (الصافات: ٢٢) (تاج العروس)

٣- النكاح: ومنه قوله تعالى: **(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا)** (الأحزاب: ٣٧). وقول المصطفى ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج». وتقول العرب : «تزوج في بني فلان : أي نكح فيهم».

تعريف الزواج اصطلاحاً:

المقصود بالزواج: عقد النكاح (فتح الباري)، وقد عرفه الفقهاء بتعريفات عدة مضمونها حل استمتاع الرجل بالمرأة.

(أ) تعريف الأحناف: قال ابن الهمام - رحمه الله -: «عقد وضع تلمك المتعة بالأنثى قصداً» فتح القدير ٩٩/٣

(ب) تعريف المالكية: «عقد لحل تمتع بأنثى غير محرم» بلغة السالك ٣٧٤/١.

(ج) تعريف الشافعية: «عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ إنكاح أو تزويج» (مغني المحتاج ١٢٣/٦).

(د) تعريف الحنابلة: «عقد يعتبر فيه لفظ إنكاح أو تزويج، والمقصود عليه منفعة الاستمتاع». (الروض المربع ٦٠/٣).

---

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الجريوي. الإسلام ودعوى التجديد في مجال الأسرة ص ٣٣٣.

مشروعية الزواج :

ثبت مشروعية الزواج في الإسلام بالكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: من قوله تعالى: **(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)** (النساء: ٣) وقوله سبحانه: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** (الروم: ٢١).

ومن السنة: قول المصطفى ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له جاء». صحيح البخاري ١٩٥٠/٥، صحيح مسلم ١٢٨/٤.

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على أن النكاح مشروع (المغني: ابن قدامة ٤٤٦/٦).

حكمة مشروعية الزواج:

إن لكل تكليف شرعي كلمة يعود أثرها على الإنسان متمثلة في فائدته الروحية والنفسية والخلقية والاجتماعية، وتقتضي عبادة الله القيام بهذه التكاليف دون الحاجة إلى فهم أسرارها وحكمها والإيمان بعدم عبثها، قال تعالى: **(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)** (البقرة: ٢١٦).

غير أن الله سبحانه منَّ علينا ببيان بعض حكم التشريع لتنشيط النفس إلى الاستجابة، ودفع ما قد يوجه إلى التكليف من شكوك، كما كرم الله العقل بفتح المجال أمامه ليفكر ملتمساً معرفة حكمة الله في تشريعه، ومن هذا ما نحن بصدده الآن، ألا وهو حكمة تشريع الزواج... ومنها:

١- بقاء النوع الإنساني:

إن الزواج أمر حيوي له أهميته الكبرى في ساحة هذا الكون العظيم فهو نظام أزلي وضرورة أصيلة من الضرورات التي طبع الله عليه كائنات هذا الوجود. وعنصر الإنسان هو أهم عنصر خلق لعمارة الأرض وبقائها حتى خلق الله كل ما فيها، فقال تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)** (البقرة: ٢٩).

كما أنه سبحانه وتعالى خلق من نوع الإنسان ذكوراً وإناثاً وفطر في كل واحد منهما الميل للآخر. ولما كان حب البقاء هدفاً أسمى يرنو إليه كل إنسان - مع إدراك الشخص بضرورة فنائه - فإن الزواج يحقق له هذه الغاية عن طريق الأولاد والأحفاد الذين يعتبرون امتداداً له.

وحفظ النوع الإنساني هو الأصل في مشروعية الزواج يتبعها حكم أخرى بمنزلة الفرع من الأصل.

٢- التسامي بالغريزة الجنسية:

مما يمتاز به دين الإسلام مراعاته للفطرة البشرية وقبوله بواقعها ومحاولة تهذيبها ورفعها، قال تعالى: **(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)** (آل عمران: ١٤).

فالإسلام يبيح الاستمتاع بطيبات الحياة، بل يدعو إليها دعوة صريحة، فيقول مستنكراً **(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)** (الأعراف: ٣٢). ويقول تعالى: **(وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)** (القصص: ٧٧). وفي قوله ﷺ «إنما حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» [١]. وهذا يدل على احترام الدافع الجنسي وعدم احتقاره والسعي لإشباعه بما يتناسب وكرامة الإنسان، ولذا حدد الإسلام طريق تلبية هذا الإحساس عن طريق الزواج حيث إنه أحسن وضع طبيعي لذلك. وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها، وفي الحديث «لم ير للمتحابين مثل النكاح» [السنن الكبرى: البيهقي ٧٨/٧] كما فتح الإسلام كل الأبواب الميسرة له وأغلق الأبواب الأخرى.

ولم يصف الإسلام الغريزة الجنسية بالقذر ولا بالانحطاط ما دام إشباعها في الحدود السوية المأمونة التي لا تؤدي إلى انحلال في شخصية الفرد، ولا إلى انتكاس حيواني في محيط المجتمع[٢]. ومن هذا يتبين أن سلوك المسلمين تجاه الغريزة إنما هو سلوك فطري معتدل.

٣) حصول السكن النفسي:

إن الترفيه عن النفس من جد الحياة ومتاعب العمل أمر مطلوب، وذلك لما جبلت عليه النفوس من الملل والسأم والضجر نتيجة للأعمال المتواصلة الجادة، لذا ينبغي أن تكون للنفس فترات استراحة تعطى فيها رغباتها ما يجدد لها نشاطها وحيويتها، والنفس غالباً ما تسكن إلى ما يماثلها ويجانسها في الطبائع والصفات وتنفر ممن يخالفها، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[٣].

فالزواج هو الراحة النفسية الحقيقية لسكون النفس للرجل والمرأة على السواء، وبوجود هذا السكن النفسي يستطيع الرجل أن يمضي في شئون حياته الدنيوية والأخروية مرتاح النفس هادئ البال لما تزود به من الأنس بزوجته المسلمة، فها هي خديجة - رضي الله عنها - وموقفها المساند للنبي ﷺ وما أضفت عليه من الأنس في أصعب الأوقات وذلك في بدء نزول الوحي، عندما جاء الرسول يرتجف فؤاده فسكنت من روعه، وقالت: «والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ»[١]. فجعل الله في تلك الصلة - بين الزوجين - سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

وبحصول السكن النفسي تحصل المودة والرحمة، وإليه أشار قوله تعالى: **(وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)**. قيل المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة وقيل المودة والرحمة هي عطف قلوبهم بعضهم على بعض[١].

التدريب على المسئولية:

---

(١) رواه النسائي في سننه، والطبراني في الأوسط والحاكم في مستدركه.
(١) دستور الأسرة في ظلال القرآن ٧٣. المؤلف: أحمد فائز. مؤسسة الرسالة.
(٢) صحيح البخاري ١٢١٣/٣، صحيح مسلم ٤١/٨، سنن أبي داود ١٦٩/٥.
(٣) صحيح البخاري ٥/١
(١) تفسير القرطبي ٥٠٩٩/٧.

إن الشعور بتبعية الزواج ورعاية الأولاد، ليدفع بالمرء إلى الإقدام والتحصيل والسعي الدائب وراء الرزق، إذ هو مطالب برعاية أسرته والقيام بحقوقها بما له من الهيمنة والقوامة، ولابد له في سبيل ذلك من التضحية وتحمل الأذى، والسعي إلى الإصلاح والإرشاد النفسي والعملي بما ينفع في الدنيا والآخرة، فالزواج يشعر المرء بالمسئولية الملقاة على عاتقه، إذ هو قبل الزواج مسئول عن نفسه فقط، أما بعد الزواج فتعدت مسئوليته إلى غيره من الزوجة والأولاد.

قال الغزالي - رحمه الله - الأهل والولد رعية، وفضل الرعاية عظيم، وإنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها، وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط[٢]. فالزواج مظهر من مظاهر الرقي الإنساني إذ يشعر المرء براحة نفسية بما يؤديه من تبعات اجتماعية من سكن ونفقة ورعاية. قال تعالى: **(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ)** (الطلاق: ٦).

وقال: **(لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ)** (الطلاق: ٧) وفي الحديث:

«إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبُها كانت له صدقة»[٣].

وانطلاقاً من مبدأ تحمل المسئولية يتولد التعاون والإحساس المشترك الذي يجب أن يلتزم به كل فرد من بقية أفراد الأسرة، فالزوجة تجد نفسها حينئذ مسوقة إلى مشاركة الزوج بروح المحبة إلى تحمل شطر من المسئولية في سبيل إنجاح كيان هذه الأسرة فتقوم بتدبير المنزل ورعاية الأطفال والقيام على حسن تنشئتهم لتكتمل لهم التربية القويمة التي يريدها الإسلام من تهيئة الجو الصالح والعش الهادئ الأمين.

الاختيار للزواج في الإسلام[١]:

لقد سن الإسلام لاختيار الزوج والزوجة قواعد محكمة ومبادئ سليمة وطلب من المسلمين مراعاتها من أجل إنشاء أسرة سليمة الجوانب:

الأساس الأول: ذات الدين والفضائل:

الدين هو المنهاج الرباني الذي أنزله الله ليجعل من الإنسان إنساناً كاملاً في صفاته وأخلاقه، وليجعل معاملته وتصرفاته في هذه الدنيا على أكمل الوجوه التي تحقق العدل والسعادة للإنسان المسلم[٢].

والدين هو الأخلاق والتعامل وليس ما وقع في القلب فقط، بل ما صدقته الجوارح من أخلاق وتعامل يقول عليه الصلاة والسلام «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» الموطأ للإمام مالك ص ٥٦٤.

وقد وجه النبي □ إلى ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام في دوافع الاختيار: «تنكح المرأة لأربع : لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فعليك بذات الدين تربت يداك». صحيح البخاري ج٣/ص٩.

---

(٢) إحياء علوم الدين.
(٣) صحيح البخاري ٥/٢٠٤٧.
(١) سليمان محمد الموسى، الاختيار للزواج في الأسرة السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٠٧هـ، ص٨٥.
(٢) عبد الرحمن عبد الخالق، ص٢٢.

فالدين هو جماع الخير كله وأفضل مقياس وأساس للاختيار به يتم صلاح الزوجة والبيت، يقول تعالى: **(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)** (القرة: ١٩٧).

وعن أنس قال عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من رزقه الله امرأة صالحه فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني». صحيح البخاري، شرح العسقلاني - فتح الباري، جـ٩.

وقال الرسول الكريم «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة».

فالدنيا متاع زائل وخير ما في هذا المتاع المرأة الصالحة لأنها تسعد زوجها في الدنيا وتعينه على أمر الآخرة. (عمر رضا كحالة جـ١، ص٢٧٥-٢٧٦)

والجمال عند المرأة ما لم يكن محصناً بالنشأة الدينية والصلاح والأصل العريق، قد يغري الفساق بالطمع فيها ويهون عليها التفريط في شرفها، والتردي في هوة الفاحشة دون مبالاة مما يعود على الأسرة من العار والضياع، والغنى بالنسبة للمرأة إذا لم يجمله الخلق الحسن قد يدفعها إلى التعالي على زوجها والتحكم فيه والطغيان عليه بما يعكر صفو الحياة الأسرية ويهدد كيان المنزل الأسري.

الأساس الثاني: البحث عن ذات الجمال وحسن الخلق:

من الصفات المحبوبة والمرغبة في الزوجة أن تكون على قدر معقول من الجمال، والجمال هو الصفة التي يبحث عنها كل من الرجل والمرأة كذلك عند الآخر، وهذه الصفة الظاهرية لها أثر عجيب في دوام العشرة وبقاء الألفة.

وحيث إن طبيعة نفس الإنسان تنفر من الدميمة وتتوق إلى الجمال، وحسن جمال الزوجة يحجز الرجل من التطلع إلى غيرها، ولأن ذلك أغض للبصر وأتم للسرور والسعادة الزوجية.

وفي الحديث: قيل يا رسول الله أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا في ماله بما يكره»[١].

وحسن الوجه مطلوب ومرغوب فيه، يقول عليه الصلاة والسلام: «إنما النساء لعب، فإذا اتخذ أحدكم لعبته، فليستحسنها»[٢].

الأساس الثالث: تحري الولود، الودود :

لقد عني الإسلام في توجيهاته بتكوين الأسرة بالحث على تحري المرأة الودود الولود. وتلك المرأة هي التي تقبل على زوجها فتحيطه بالمودة والرحمة، وتحرص على طاعته ومرضاته. ويفضل أن تكون المرأة ولوداً لأن التناسل والإنجاب من أهداف الأسرة المسلمة ومن مقاصد الزواج الأساسية. قال ﷺ: «لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً، فإني مكاثر بكم الأمم». سنن النسائي جـ ٦، ص٦٦.

فالإسلام يرغب وخاصة الشباب الذي لم يسبق له الزواج في أن يختار الولود الخصيبة. وليس هدف الإسلام من إنجاب الذرية تقوية الأمة فقط، بل

---

(١) سنن النسائي، جـ ٦، ص٦٨.

(٢) محمد بن يحيى مهران الصعدي - جواهر الأخيار والآثار- هامش البحر الزخار، جـ٤، ص٦.

توفير أسباب الاستقرار والسعادة وزيادة الروابط الأسرية بين الأسرة بانجاب الذرية والتعاون على تربيتهم.

الأساس الرابع: أن تكون المخطوبة بكراً:

البكارة من الصفات المحببة في الزواج لدى الرجل والمرأة، يقال رجل بكر وامرأة بكر، لم يسبق لهما الزواج، وقد حث الإسلام على أن يبحث الشاب عن المرأة البكر، والإسلام في هذا الصدد إنما يوجه ويختار ما يناسب الفطرة ويحمي الأسرة، مما قد يثغص عيشها أو يكدر صفوها، وما ذلك إلا لأن البكر مجبولة على الأنس بأول أليف.

وقد ورد التعليل لزواج البكر بأنه للملاعبة كما في حديث جابر - ﷺ -، والسبب أن البكر التي لم يسبق لها الزواج تتفتح طاقاتها النفسية والعاطفية والجسدية على لقائها الأول مع الرجل، أما غير البكر فقد لا تجد في الزوج الآخر بعض ما راق لها في الأول، مما قد يوقعها في النفور والفتور في معاملته. فعن جابر - ﷺ -، قال : قال رسول الله ﷺ: هل نكحت ؟ قال : نعم. قال: أبكراً أم ثيباً؟ قال: ثيب. قال: «فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك؟، قلت: يا رسول الله قتل أبي يوم أحد وترك تسع بنات فكرهت أن أجمع إليهن خرقاء مثلهن، ولكن امرأة تمشطهن وتقوم عليهن، قال أصبت». (صحيح مسلم - جـ٢ - ص١٠٨٨)

الأساس الخامس: الاختيار على أساس الحسب والشرف:

وذلك على أساس من الانتقاء للشريك من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق وأصالة الشرف، لكون الناس معادن يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفاً في الخير والشر. ففي الحديث الشريف «الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[1].

ولكن وللأسف تغيرت هذه الموازين عند بعض الناس في عصرنا الحاضر، وأصبح المال والثراء، والمركز الوظيفي هو مقومات الشرف والمكانة، وإليها ينسب ذلك،أو أنساب سلالية، لا إلى الأخلاق والدين، والعلم والفضل.

نظريات الاختيار للزواج في علم الاجتماع:

سوف نتناول عبر السطور الآتية مناقشة لأهم النظريات التي تناولت ظاهرة الاختيار للزواج.

١- نظرية التجانس - :

وهي من أقرب النظريات لتحديد العمر المناسب للزواج ترتكز تلك النظرية على فكرة أن الشبيه يتزوج بشبيهه، وأن التجانس هو الذي يفسر اختيار الناس بعضهم لبعض عند الزواج، لا الاختلاف والتضاد.

وفي اللغة العربية - التجانس - الشخصان إذا اتحدا في الجنس وكثيراً من الصفات والتجانس - التآنس - أي مع الاتحاد والتآلف.

وفي التشريع الإسلامي حث ووجه الشرع إلى التكافؤ بين الشريكين. والكفاءة هي: المساواة، والمماثلة، أي التمثيل والنظير، والمقصود بها أن يكون الزوج كفأ لزوجته، أي مساو لها في المركز الاجتماعي، لتقوم الحياة

---

(١) الحديث، صحيح مسلم، جـ ٤، ص١٩٥٨.

السعيدة بينهما. وما من شك أنه كلما كانت منزلة الرجل مساوية لمنزلة المرأة كان ذلك أدعى لنجاح الحياة الزوجية.

وهناك مجموعة من المتغيرات التي يقوم عليها التجانس، فالناس يتزوجون ممن يقاربونهم سناً، ويماثلونهم حسنا، ويتحدون معهم في العقيدة، حيث إن الانتماءات الدينية تؤثر في تحديد حالات الزواج المتجانس في المجتمع، والطبقة الاجتماعية، والدخل، ومستوى التعليم وعوامل أخرى لها تأثيرها على توجيه الاختيار للزواج.

وضماناً لحسن التوافق بين الزوجين وحسن العشرة وإمكان التفاهم وبناء العلاقة الزوجية على الندية حرصت الشريعة الإسلامية على أن يكون الزوج كفؤاً للزوجة في كل القيم التي يعتز بها الناس في حياتهم خاصة بالنسبة للمكانة الاجتماعية والاقتصادية والكفاءة عنصر عام لاستقرار الحياة الأسرية في ضوء قوامة الرجل، حيث إن انخفاض مكانة الرجل يضعف مكانته كرب للأسرة[٢].

وفي مجال[٢] الكفاءة في السن ينبغي أن يراعي ولي أمر الفتاة السن في من تقدم لخطبة موليته. قال زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري صاحب فتح الرحمن وتحفة الباري على صحيح البخاري: «يستحب ألا يزوج ابنته إلا من بكر لم يتزوج قط، لأن النفوس جبلت على الإيناس بأول مألوف»، فليس من الإنصاف أن يزج الإنسان بفتاة في مقتبل العمر، ويريعان الشباب بين أحضان شيخ لا ترى منه إلا نوم العشاء، وسعال السحر[٣].

ومن ذلك ما حدث أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- حيث قتلت شابة زوجها، فقد جاء في سنن سعيد بن منصور : «أتى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- بامرأة شابة زوجوها شيخاً كبيراً فقتلته فقال : يا أيها الناس اتقوا الله، ولينكح الرجل لمته من النساء - شكله وتربه - ولتنكح المرأة لمتها من الرجال يعني شبهها». سنن سعيد بن منصور ٣٤٣.

٢- نظرية التجاور المكاني - عامل القرب:

توضح النظرية أن عملية الزواج والاختيار تتم في نطاق جغرافي محدد، يكون بمثابة مجال مكاني يستطيع الفرد أن يختار منه.

ونظرية - التجاور - تؤكد أن الناس يميلون إلى الزواج بهؤلاء الذين يعيشون بالقرب منهم، في حيزهم ومجالهم، مثل الحي السكني، أو مجال العمل أو مجال المهنة والدراسة[١]، وحتى في مجال البلد الذي يقيم فيه الإنسان، أو مسقط رأسه، وقد كشفت الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة أن هناك اتجاهاً عاماً يدل على أن معظم الأفراد كانوا يفضلون الزواج من الأحياء المجاورة لهم وفي محيط واحد، أو ممن كانوا متصلين معهم في علاقات أسرية وقرابة.

ونظرية التجاور أو القرب توضح لنا أن الفرد يميل إلى الزواج من أولئك الذين يعيشون بجواره، أو الذين كانوا يلعبون معه، أو زملائه في

---

(١) نبيل السمالوطي. الدين والبناء العائلي، ٢٠٠.
(٢) الإسلام ودعوى التجديد في مجال الأسرة، عبد الرحمن إبراهيم الجريوي.
(٣) الأسرة تحت رعاية الإسلام ٢٠٦/١
(١) سناء الخولي - الزواج والعلاقات الأسرية، ص١٣٦.

الدراسة أو العمل، ويظهر ذلك بوضوح في الدول التي تتيح الاختلاط بين الجنسين والدول الصناعية، مما أدى إلى زيادة الاحتكاك بين الشباب والفتيات في أماكن كثيرة كما يتيح المناخ الاجتماعي في تلك الدول حرية أكثر للانفراد بعيداً عن ضغوط ومراقبة الأسرة[٢]

وقد دلت الدراسات في المجتمعات الصناعية أن هناك نسبة كبيرة من حالات الزواج في نفس المهنة، والذين هم في مستوى متقارب في العمل أو الدراسة[٣]

حتى التقارب و التجاور في المكانة الاجتماعية لها دور بارز في تحديد الاختيار للزواج في أي مجتمع، ودلت البحوث التي أجريت على عدد من المتزوجين، أن الرجال الذين ينتمون إلى أسرة عالية المكانة الاجتماعية يفضلون الزواج من فتيات تنتمي أسرهن إلى نفس المستوى.

أما في مثل المجتمع الذي لا يبيح هذا الاختلاط فنجد معظم حالات الزواج تتم إما للتقارب المكاني في السكن بين الأسر، أو والد الفتاة أو شقيقها، يكون هناك تقارب معه ومع الزوج في المهنة أو الدراسة، وللقرابات الأسرية والعلاقات العائلية أثر بارز في الاختيار للزواج.

٣- نظرية القيمة في الاختيار للزواج:

تهتم هذه النظرية بفكرة القيمة الشخصية، وقد أجريت بحوث تبين أهمية القيمة في الاختيار للزواج مثل قيم الأسرة والقيم الوالدية، حيث إن هذه القيم عبارة عن عوامل تكون ذات تأثير في بيئة الأسرة على الاختيار للزواج[١]

ويمكن القول بشكل أبسط حول مفهوم هذه النظرية أن الأسرة تحاول ضمان كون الشريك الآخر شخصاً تتفق وتتجانس اتجاهاته وسلوكه مع اتجاهاتهم وسلوكهم بصفة عامة.

وترى نظرية القيمة أن النجاح في الزواج مرتبط بمدى تقدير الفرد لمسائل الدين والقيم الرفيعة، ذلك أنه كلما كان الإنسان شديد الحرص على أداء الواجب، مؤمناً بالقيم، وكان الطرف الآخر كذلك، كانت الفرصة أمامه كبيرة لأن يسعد في حياته الزوجية[٢].

٤- نظرية الحاجات التكميلية:

تقوم هذه النظرية على أن لدى كل إنسان حاجات مختلفة ينزع في سلوكه نحو الزواج إلى اختيار من يرى أنه يشبع تلك الحاجات، حيث يفترض «أونش»[٣] أن عوامل التجانس كالجنس والدين والطبقة الاجتماعية، والسن، ومستوى التعليم.. الخ. تحدد لكل واحد منا مجال الشركاء اللائقين للاختيار في الزواج، الذي نختار في إطاره شركاءنا للزواج، بحيث يبحث كل فرد في محيط اللائقين للزواج - بالنسبة له - عن ذلك الشخص الذي يمنيه بإمداده بأكبر قدر من إشباع حاجاته.

---

(٢) عبد الله الخريجي، مرجع سابق، ص١١٣.
(٣) محمد فؤاد حجازي، الأسرة والتصنيع، ص٣٠٩.
(١) سامية الساعاتي - مرجع سابق ص ١٧٤- ١٧٨.
(٢) محمد عاطف غيث - تطبيقات في علم الاجتماع - ص١٦٦.
(٣) الساعاتي - مرجع سابق، ص١٩٠.

وفي دراسة «ارمنج روسو»[1] النقدية لنظرية «أونس» في الحاجات التكميلية يأبى بفكرة تغير الحاجات عند الإنسان مع مرور الزمن، ويشير إلى التنظيم المتغير للحاجات الأساسية كرد فعل، أو صدى للنمو، والتطور، وخبرات الحياة.

وقد ذكر مجالات آثار الحاجات المتغيرة على الزواج وضغوطها ومنها:

- ضغوط النمو الداخلي وتأثيراته.
- ضغوط التفاعل وتأثيراته.
- ضغوط الأدوار الجديدة.
- ضغوط الخبرات الأخرى الكبرى في الحياة، مثل الصداقات المختلفة.

٥- نظرية الشريك المثالي[2]:

وفكرة هذه النظرية وجوهرها ما يعرف لدى عامة الناس «بفتى أو فتاة الأحلام» والذي تنتج عن صورته عبر سني العمر في ذهن الشخص قبل الزواج. وتبعاً لهذه النظرية فإن الصورة المثالية تؤثر في الاختيار للزواج لأن الإنسان قد يسعى في الواقع إلى الزواج ممن يماثل تلك الصورة كما أنه قد يرفض من لا يماثلها إلى أن تكون مصدر إعاقة الزواج. يقول «ستراوس» في الساعاتي ١٢١ عن الشريك المثالي:

هذا الاصطلاح يقصد به تلك الصورة أو الصور التي تكون لدى الفرد الذي في سن الزواج، عن نمط وطراز الشخص الذي يود الزواج منه، وفي بعض الأحيان قد لا يكوّن بعض الأشخاص صورة مثالية للشريكة، والشريك المرغوب والمفضل، لكنهم يستخدمون مقاييس أخرى لاختيار الشريك، بطريقة سلبية فنجدهم يستبعدون من تفكيرهم صورة الشريك الذي سيختارونه، هؤلاء الذين ينتمون إلى عنصر مختلف أو جنسية أخرى، أو دين مغاير أو مستوى اقتصادي أقل ومكانة اجتماعية مختلفة، أو مستوى تعليمي آخر.

وقد تأثر بذلك المنطلق لاختيار الزوج أو الزوجة، الكثير من الشباب والفتيات في العالم الإسلامي اليوم، نتيجة التأثير الإعلامي المباشر بما يحمله من مواد وبرامج تصور الفردوس المنشود والجنة الموعودة لحكايات الزواج التي قامت على أساس الحب وفتى وفتاة الأحلام، برغم بعد بعضها عن الواقع.

- الموضوع المثار يشير إلى تحول في المجتمع، هل يمكن أن يثار هذا الموضوع بمثل هذه الحدة لو كنا في زمان غير زماننا هذا إنه مؤشر لتحولات اجتماعية كبيرة في المجتمع.

- جدل اجتماعي: أحدثت هذه القضية جدلا اجتماعيا واسعا في المملكة العربية السعودية من حيث العوامل المرتبطة بوجودها، ما مدى انتشارها، ما آثارها الاجتماعية، حيث يعتبرها بعضهم صفقات يتم فيها بيع

(١) المرجع السابق، ص٣٠٨-٣٠٩.
(٢) المرجع السابق، ص٣٠٨-٣٠٩.

القاصرات لبعض كبار السن من الميسورين ماديا تحت اسم الزواج، فيما يرى طرف آخر أن زواج الكبار بالصغيرات يقلل من نسبة عنوسة الفتيات،بل إن بعض الفتيات يرغبن بالزواج ممن يكبرهن في العمر كثيرا لأنهن ينظرن إلى الملاءة المادية والنضج

- المشكلة التي يعاني منها المجتمع والتي هي أولى أن نسلط عليها الأضواء ونعالجها والتي هي ظاهرة بالفعل هي تأخر سن الزواج ووصول الفتي والفتاة إلى سن متأخرة كان ينبغي أن يكونوا تزوجوا قبل ذلك بسنين لما في ذلك من جلب كثير من المصالح ودرء كثير من المفاسد.

- المسألة المهمة لا بد أن نحدد ما المقصود بالقاصرة؟ هل يقصد فيها ما دون البلوغ،أو ما بعد البلوغ ودون الثامنة عشرة.

- هل المشكلة في الزواج في حد ذاته أم وجود فارق في العمر كبيرا بين الزوج والزوجة، هل يعني لو تزوج رجل في الثمانين من عمره بفتاة بعد الثامنة عشر لا يعتبر مشكلة أم تبقى القضية قائمة، وماذا لو تزوج رجل في العشرين بعجوز في الثمانين هل ستثار القضية.

- في بعض الدول التي تمنع الزواج قبل بلوغ الثامنة عشر لا تجد حرجا في الممارسات الجنسية خارج نطاق الزواج قبل هذه السن، بل وجد وبكثرة ما أطلق عليه الأم العزباء واعتبر ذلك شرعيا ولا غبار عليه.ألا يثار صحة الفتاة وقدرتها على ممارسة الجنس بل والحمل والإنجاب خارج نطاق الزواج؟ لماذا يستنكر الأمر بالزواج ولا يثار خارج الزواج؟ ألا يدعو للارتياب من المقاصد ودقة الدراسات؟

- من أهم أهداف الزواج أن يحقق السكينة بكل أبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والاستقرار حيث قال المولى جل وعز في كتابه العزيز **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** (الروم:٢١) فقال تعالى لتسكنوا .

- من أهم أسس نجاح الزواج بصفته مؤسسة وشركة للحياة ولتحقيق لتسكنوا أن تقوم على أساس المودة والرحمة فهما الجناحان اللذان تطير بهما الحياة الزوجية، ومن أسس المودة والرحمة التجانس، والتجانس الذي يتحدث عنه علم الاجتماع يعني التجانس الفكري والتجانس العمري والتجانس في الميول والتجانس الاجتماعي والتجانس الاقتصادي والتجانس التعليمي، وتؤكد الدراسات أن التجانس العمري بين الزوجين من الأهمية بمكان لحصول المودة والرحمة.

- أن من الأسس الضرورية لنجاح الزواج النضج عند الفتى وعند الفتاة وأنا عندما أركز على الفتى أي على الزوج رغم أن الموضوع عن زواج القاصرات فإنني أوكد أن هذه الشركة لها رئيس تنفيذي، أن هذا المركب له ربان وهو الزوج ومسؤوليته كبيرة سواء في نجاح أو فشل هذه الشركة وذلك الذي يقدم على الزواج ينبغي أن يكون ناضجا ليس فقط من حيث عمره ولكن من حيث خلقه وقدرته على تحمل المسؤولية وكما يقول

الحبيب «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» وكذلك نضج الفتاة العقلي والعاطفي والمهني.

- العمر المناسب للزواج يختلف من زمن لآخر حسب مجموعة عوامل فما كان مناسبا قبل سنوات ليس بالضرورة أن يكون مناسبا في هذا الوقت فالفتاة التي تنهي المرحلة الثانوية أي تجاوزت الثامنة عشرة تعتبر في العرف المعاصر صغيرة يستغرب أن يتقدم لها أحد في حين أن عددا من الأخوة والأخوات الذين تجاوزا الثلاثين عاما في زواجهم قد تزوجوا حول ذلك العمر أو قبله.

- أمتع مرحلة تعيشها الفتاة هي مرحلة أن تكون بنتا في بيت والديها تكبر معهم وتتربى تحت أعينهم وتعيش الطفولة والمراهقة في زمانها ومرحلتها الطبيعية وتنضج نضجا طبيعيا تدريجيا، وزواج الصغيرة يحرمها من أجمل مراحل الحياة ويحرمها أن تعيش كل مرحلة وتنضج نضجا طبيعيا

- قد تشعر الفتاة التي زوجت صغيرة بأنها منبوذة حيث تشعر أن أسرتها دفعتها دفعا لزواج لم تكن مؤهلة له وأنها كانت عبئا على أسرتها، وبخاصة إذا زوجت من قبل كبير في السن فتشعر أنها مجرد سلعة تم بيعها والاستفادة من مبلغ مادي كبير دفع ثمنا لهذا المبادلة.

- قد يكون زواجها المبكر جدا مرتبطا بحرمانها من مواصلة التعليم، وهذا يجعلها تشعر بالحرمان من حق طبيعي لها ثم ما أثر ذلك على حياتها وعلى مستقبل أولادها وكيف تتعايش معهم. لا تقل إن كثيرا من أمهاتنا أميات لمن يتعلمن وها أنتم تحملون أعلى الشهادات ألم أقل من قبل لكل زمان أنماطه وطرقه وتصوراته.

- الطلاق المرتبط بزواج القصر حيث تراكم المشكلات،أدى إلى زيادة نسبة الطلاق وما ينتج عن الطلاق، ومن ثم ما الذي ينجم عن الطلاق بعد ذلك، وبخاصة إذا تزوجت تلك القاصر رجلاً كبيراً.

- هناك من الرجال من يتباهي ويفتخر بممارسات وزواجات ويصوغون القصائد والكلمات، وكأن المرأة بضاعة وممتلكات لابد من وقفة مجتمعية ضد هذه الممارسات لأن النظر إلى هذه الممارسة لا يمكن إيقافها إلا بوقفة مجتمعية صارمة مع وجود تنظيم قوي وتطبيق عادل، وتوعية شاملة.

أ.د. إبراهيم بن مبارك آلجوير

أبيض